(١٥) ليلة لا تنتهى

تحرك الابن فى مكتبه بتوتر شديد وهو يزفر فى حنق وعصبية ووقف يتطلع عبر نافذته الى فناء من أفنية القصر الذى يشهد حركة غير عادية لحراسه تعنى أن أمر جلل قد حدث ..

كان عقله يحمل أسئلة كثيرة وعديدة عن سر دوى الرصاصات التى انطلقت منذ قليل.. و..

وارتفع صوت سكرتيره الخاص عبر جهاز الاتصال الداخلي وهو يقول :

- لقد وصل قائد الأمن يا سيدى ..

اندفع الابن نحو جهاز الاتصال وضغط زره قائلاً :

- فليدخل فوراً ..

وبعد لحظة واحدة عبر قائد الامن الى حجرة مكتب ابن الرئيس الذى هتف به متسائلا فى فضول شديد :

- هل قتلوا وزير الدفاع ؟..

التقى حاجبى قائد الامن وهو يقول فى اقتضاب وقد ضم شفتيه :

- للأسف ..

عاد الابن يقول فى عصبية وقد فرغ صبره :

- للأسف ماذا ؟؟ ..

أجابه قائد الأمن :

- لقد هرب بالطائرة الهليكوبتر الخاصة بك .. وسجلت أجهزة الرادار أنه حط بها فى مكان قريب .. وبعد ذلك اختفى ..

هتف ابن الرئيس فى مزيج من الصرامة والخشونة:

- فلتذهب الطائرة الى الجحيم ..فمن الممكن أن يكون مسئول الأمن القومى هو الذى هرب بها .. لكنني سألتك سؤال محدد ..

ارتبك قائد الأمن قليلاً وهو يقول :

- اقصد الاثنان يا سيدى .. وزير الدفاع ومسئول الأمن القومي هربا بالطائرة ..

قطب ابن الرئيس حاجبيه ومر يده على رأسه ووجه وبدا غارقاً فى التفكير للحظات بعدها تساءل فى سخرية قاسية :

- وأين كان الحراس؟؟ .. يلعبون الكرة فى الحديقة الخلفية ؟؟

ظهر الضيق على وجه القائد من لكنة الابن الساخرة ولكنه أجاب فى حنق بالغ:

- للأسف يا سيدى .. لقد حدثت مفاجأة غير متوقعة ابدا قلبت الأمور رأساً على عقب وجعلتها فى صالح الوزير والمسئول .. وهى أن .. (صمت لحظة ثم أضاف) .. وهى أن حراس الطائرة هربوا معهما ..

ارتسمت دهشة عظيمة على وجه ابن الرئيس واتسعت عيناه فى تعجب شديد وهو يجلس على أقرب مقعد وكأن المفاجأة أعجزته عن الوقوف ثم غمغم متسائلاً :

- كيف حدث هذا ؟!

فأجاب القائد بسرعة:

- بعض الحراس الذين كانوا على مقربة من مهبط الطائرة أكدوا بأن الجنود كانوا شاهرين أسلحتهم بالفعل فى وجهى الوزير والمسئول إلا انه وبعد لحظات وجدوهم يفسحون الطريق لهما ويقفز الجميع الى داخل الطائرة بسرعة شديدة وهو ما جعل الحراس يندفعون نحوها الا ان الجنود بداخلها

اطلقوا النيران بصورة منعت الحراس من الاقتراب حتى تصاعد هدير محركها ورغم تبادل اطلاق النار الا ان الطائرة اقلعت بالفعل ولم تفلح الرصاصات والانظمة الدفاعية بالقصر فى ايقافها نظراً لكونها طائرة حربية حديثة تستطيع ان تتحمل وتراوغ وتصد أى محاو ....

قاطعه ابن الرئيس فى صرامة شديدة وقد استعاد رباطة جأشه :

- اذهب انت ..واستكمل تحقيقاتك مع الفريق الطبي .. أريد تقرير كامل عما حدث فى أسرع وقت ممكن .. واحترس .. أمر مقتل الرئيس مازال تحت بند السرية المطلقة حتى احدد اجراءات وملامح المرحلة القادمة .. هيا ..اتركنى الان ..

نظر اليه قائد الأمن بنظرة خاوية ثم دار على عاقبيه ليخرج من غرفة المكتب فى نفس الوقت الذى تصاعد فيه صوت سكرتير ابن الرئيس وهو يقول عبر جهاز الاتصال :

- سيدى .. أسف لإزعاجك ولكن هناك كثيرون من داخل الوطن وخارجه يحاولون الوصول اليك للتحدث معك بشأن الموقف الراهن و..

قاطعه الابن فى ضجر وهو يضغط زر الاتصال :

- قل لهم أى شئ .. ولا أريد اى ازعاج لمدة نصف ساعة .. أفهمت..

ثم جلس على مقعده الوثير خلف مكتبه ورفع رأسه الى أعلى وأغلق عينيه وبدا غارقاً فى التفكير و..

اعتدل فجأة والقى نظرة سريعة فى ساعته الانيقة ثم مد يده ليضغط على ازرار الكمبيوتر المحمول الخاص به فى تتابع منتظم ثم انتظر لحظات ظهر بعدها صورة السيناتور الامريكى فقال له الابن بلغة انجليزية عبر مكالمة الفيديو:

- أعتذر على ازعاجك ايها السيناتور .. ولكن أطلب المشورة بخصوص الوضع الحالي..

فقال السيناتور فى اقتضاب :

- قل ما لديك ..

فقال الابن :

- الأمر يخرج عن سيطرتي تماما .. اعداد المتمردين فى تزايد مستمر .. ومعهم حشود من الاخوان .. والشرطة تحاول بكل امكانياتها لتفريقهم ولكن التقارير تؤكد أن جهاز الأمن كله من الممكن أن ينهار فى أى لحظة .. والأقسام امتلأت بالمقبوض عليهم لدرجة اننى أمرت بفتح السجون والمعتقلات ليتم ترحيلهم الى هناك مباشرة .. كذلك استأجرت بطرق غير مباشرة مجموعة كبيرة جدا من البلطجية والمسجلين خطر لمقاومة من يسمون أنفسهم بالثوار وقتلهم اذا لزم الأمر.. ولكن ..ولكن أحتاج الى دعم أكبر وسريع وفعال..

تسائل السيناتور :

- والجيش ؟

زفر الابن فى ضيق وهو يجيب :

- الجيش لا يريد التدخل .. ولا أمل منه .. ووزير الدفاع سأصدر قراراً بعزله .. ولكن المشكلة تأثيره الكبير على قواد وجنود الجيش لدرجة أن بعضهم خالفوا أوامري وساعدوه على الخروج من القصر بعدما ..

صمت قليلا ثم استطرد :

- بعدما قام بقتل الرئيس ..

اصابت المفاجأة ملامح السيناتور ورفع حاجبيه وهو يقول فى دهشة :

- قتل الرئيس .. وزير الدفاع قتل الرئيس .. كيف؟؟

هز الابن كتفيه قائلا:

- هذا ما حدث مع الأسف ...

قطب السناتور حاجبيه وهو يقول متعجباً مستنكرا :

- ولكن تاريخه وسلوكه وأسلوبه فى الحياه والعمل لا تتفق ابداً مع قيامه بارتكاب هذه الجريمة .. بالتأكيد هناك خطأ ما فى تحليلك للواقعة (ثم تمتم وكأنه يتحدث مع نفسه) رئيس البرلمان ورئيس المحكمة الدستورية ثم الرئيس .. و.. (ابتسم فى خبث وهو يستطرد بلهجة ذات مغزى) يبدوا أن هناك من يتحرك بسرعة شديدة للتخلص من أعدائه ..

قال الابن فى لهجة جامدة :

- هناك تحقيق مكثف يتم حول هذه الجرائم النكراء

فقال السيناتور :

- اقدم تعازي الحارة (ثم أستطرد قائلاً) وعموما هذه أمور تخصك ولا تخصنا .. المهم الأن اننا نتعامل معك أنت .. ولكن فى قضية قتل الرئيس لابد أن يكون التحقيق سرياً لا يعرفه أحد ابدأ ..

أومأ ابن الرئيس برأسه هاتفاً :

- هذا ما أمرت به بالفعل ..

فقال السيناتور :

- حتى أنا لن أبلغ الرئيس الامريكى بهذا النبأ .. ومن الأفضل أن يبقى هذا الأمر سري حتى يتم تنفيذ الحل الوحيد والسريع لاحكام قبضتك على مقاليد الحكم والشعب فى وطنك ..

سأله الابن فى لهفة شديدة :

- وما هو يا سيدى؟؟

وإنطلق السيناتور يخبره بالحل ..
وابتسم الابن وهو يستمع بمزيج من الاهتمام والاعجاب..
واتسعت ابتسامته لتملئ وجه ..
ابتسامة شيطانية ..
تحمل رائحة الموت والدم ..

*****

وفى غرفة أخرى من غرف القصر الرئاسي كان يجلس قائد الامن خلف مكتبه وأمامه الطبيب الذى قال للأول بصوت يملؤه الحزن :

- هذا ما حدث ؟؟

فقال القائد متسائلا :

- هل تقصد انه فى وقت انقطاع الكهرباء قام أحدهم بحقن الرئيس بمادة بروميد البانكورونيوم تسببت فى حدوث ما يسمى بالاختناق الكيميائي له أدت الى وفاته ؟؟

أعتدل الطبيب فى جلسته وهو يتنهد قائلاً :

- بكل تأكيد .. نتائج تحليل الدم تؤكد ذلك .. بروميد البانكورونيوم مادة سامة قاتلة تتسبب فى ايقاف عملية التنفس وشلل بالرئتين فيموت الضحية خلال ٧ دقائق و معروفة بانها احدى الحقن المميتة التى تستخدم فى تنفيذ حكم الاعدام ببعض الولايات الامريكية..

أومأ القائد برأسه وعاد يسأل فى اقتضاب :

- هل تتهم أحد أو لديك أى شكوك تجاه أحد؟؟

فأجاب الطبيب :

.لا .. (ثم استطرد بسرعة) ولكنني المسئول ..

فتنهد القائد وهو يقوم من مكانه قائلاً :

- علينا أن نلقى نظره أخيرة على جثة الرئيس لإنهاء هذا التحقيق .. وبعدها سنرى ماذا سيحدث ؟؟

فقام الطبيب وسار خلف القائد فى صمت واستسلام وعقله يكرر نفس التساءل :

- يا ترى .. ماذا سيحدث؟؟ .. ماذا تخبئه لنا الساعات المقبلة ؟؟

وبقت الأسئلة حائرة

فى سماء القصر..

الرئاسي ..

*****